

كلمة (Folk) تعني الشعب أو الناس، وكلمة (Lore) تعني المعرفة أو الحكمة، فتكون الترجمة الحرفية لكلمة (Folklore) تعني "حكمة الناس أو المعرفة الشعبية". وقد ولد مجال علم الفولكلور (Folkloristics) في أوروبا في القرن التاسع عشر بالارتباط مع ظهور النزعة القومية، وقد ركز علماء الفولكلور الأوائل دراساتهم على الفلاحين غير المتعلمين في المقام الأول بهدف تتبع الأصول البعيدة للعادات والعقائد العتيقة. ومع مرور الوقت تيقظ العالم إلى الأهمية العظيمة لهذا الموروث الاجتماعي الذي لا يقل أهمية عن اللقى الأثرية المادية (كالتماثيل، والأبنية) فلذلك اتجه العلماء إلى حفظه وحمايته من الضياع باعتباره يضم بقايا آثار ماضٍ أخذ في التلاشي.

ومع ذلك فإن الدراسات التاريخية ظلت فترة طويلة تخاصم الموروثات الشعبية، وتترفع عن الاستعانة بها. وبسبب غطرسة المؤرخين، الذين تصوروا أن الوثيقة المكتوبة هي عماد البحث والدراسة التاريخية، ظلت الموروثات الشعبية، بكل أشكالها وأنماطها، بمنأى عن الدراسات التاريخية زمنًا طويلاً. بيد أن التطورات التي أملت بمجال الدراسات التاريخية دفعت بالمؤرخين إلى الاعتراف المتزايد بما طال السكوت عنه في الموروث الشعبي الذي يقدم لنا رؤية جمعية للحقيقة التاريخية، فالتاريخ في شكله الكلاسيكي برجوازي النزعة، إذ يؤرخ دائماً لحياة الملوك والعظماء والفاحين والأحداث الهامة. أما الفولكلور فهو سجل لتاريخ المجتمعات الشعبية (تاريخ الشعوب) العريضة، كما تمثله أحداث العامة الأقل جبهة، وهو بما يحويه من مآثورات شعبية معينة، يشكل نوااميس اجتماعية تعبر عن علاقة إنسانية مع البيئة والمجتمع ويؤكد بها ذاته، وشخصية الأمة التي ينتهي إليها. لذا برزت أهمية اعتماد المؤرخ على الموروث الشعبي بجانب مصادره التقليدية، لاستيعاب الظاهرة التاريخية ورسم صورة كلية لها.

إن دراسات الفولكلور هي مجال معرفي متعدد الأبعاد، يتكون من الشق الشفاهي: الفنون القولية، أو الأدب الشعبي (الشعر الشعبي، والحكاية، والمثل، واللغز، والنادرة، والأحجية، والسير، والمدائح، والموسيقى وأغاني العمل، والأعياد والمناسبات الاجتماعية، والرقص والحركات التعبيرية، والطقوس والمعتقدات (السحر، والتعاويذ، والجان، والرموز الرقمية، والألوان، ودلالات الجسم الإنساني، والعادات والتقاليد (المتعلقة بدورة الحياة: الولادة، والزواج، والوفاة)، والمعارف (كالطب الشعبي)، والتصورات حول (الجمادات، والنباتات، والحيوانات). أما الشق المادي: المنتجات المادية المحسوسة كالثياب المطرزة والحلي (الزي الشعبي) وأدوات: الموسيقى، والطبخ، والحصاد، والأبنية والمساكن، والحرف الشعبية، ومجمل مستعملات الحياة الشعبية بشقيها الروحي والمادي.

يتضح الآن؛ أن الفولكلور يرتبط بحياة الشعب ارتباطاً وثيقاً، بطقوسه وعاداته وتقاليده، وعلى صفحته تنعكس خصائص مختلف المراحل التاريخية، لذلك نشاهد علوماً أخرى ينصب اهتمامها على الفولكلور بوصفه علم اللغة والأدب والأجناس والتاريخ... إلخ. ويتناول كل علم من هذه العلوم دراسة الفولكلور من وجهة نظره، فعلم اللغة يتناول الكلمة في الفولكلور، وتاريخ اللغة التي تترأى فيه، وعلاقتها باللهجات. أما الأدب فيدرس السمات العامة للفولكلور والفرق بينه وبين الأدب، وعلم الموسيقى يدرس العناصر الموسيقية والمسرحية في الفولكلور، وعلم الأجناس يتعرض لدور الفولكلور وآثاره في حياة الشعوب وارتباطه بالطقوس والتقاليد، وعلم التاريخ يبحث في الوعي الشعبي لتفهم الأحداث التاريخية التي يعكسها الفولكلور بصفته ذاكرة وهوية للأجيال.

رئيس التحرير

المراجع

- عمرو عبد العزيز منير، مصر والنيل: بين التاريخ والفولكلور- القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٩. (مقدمة المؤلف)
- قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور- الجيزة: عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٨.
- موسوعة التراث الشعبي العربي/ تحرير: محمد الجوهري- القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢. (مج ١، علم الفولكلور: المفاهيم والنظريات والمناهج)
- نادية يعقوب، الفولكلور (المآثورات الشعبية)/ترجمة: منى إبراهيم- متاح عبر صفحة د. سعاد جوزيف (جامعة كاليفورنيا) بتاريخ ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢، على الرابط: (<http://sjoseph.ucdavis.edu>)
- Georges, Robert A., Michael Owens Jones, Folkloristics: An Introduction.- Bloomington: Indiana University Press, 1995.